

واقع الإصلاح الديني في ألمانيا من اللوثرية الألمانية إلى البروتستانتية الأوروبية

**The Reality Of Religious Reform In Germany;
From German Lutheranism To European Protestantism**

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة. الجزائر	د. عبد الحفيظ موسم* dr.moussem@gmail.com Abdelhafid.moussem@univ-saida.dz
---	---

النشر: 2021 / 02 / 26

القبول: 2021 / 02 / 24

الإرسال: 2021/02/02

الملخص:

تتناول هذه الدراسة بعض الجوانب المهمة عن حركة الإصلاح الديني في ألمانيا، من خلال تسليط الضوء على الأسس والمبادئ العامة التي قامت عليها حركة مارتن لوثر الدينية الإصلاحية، مع تقديم توضيحات مهمة عن تطورها وانتشارها في ألمانيا وفي غيرها من الدول الأوروبية، خاصة بعدما انفصل مارتن لوثر عن روما والكنيسة الكاثوليكية، مُعلنًا بذلك تأسيس المذهب البروتستانتي كرد فعل على تجاوزات الكاثوليكية في الفساد الأخلاقي، لتتحول بذلك حركته الإصلاحية من اللوثرية الألمانية إلى البروتستانتية الأوروبية.

الكلمات المفتاحية: الإصلاح الديني، ألمانيا، مارتن لوثر، الكنيسة الكاثوليكية، البروتستانتية.

Abstract:

This study discusses key aspects of the religious reform movement in Germany. Thus, the general foundations and principles upon which the Martin Luther Reformist religious movement was founded are highlighted. Besides, explanations for its development and spread in Germany and other European countries are provided. This is particularly after Martin Luther separated from Rome and the Catholic Church. Hence, the establishment of Protestant doctrine as a reaction to Catholic excesses of moral corruption was declared, thus Martin Luther's reformist movement shifted from German Lutheranism to European Protestantism.

Keywords : Religious Reform, Germany, Martin Luther, Catholic Church, Protestantism.

د. عبد الحفيظ موسم، dr.moussem@gmail.com

مقدمة:

تعتبر حركة الإصلاح الديني التي شهدتها القارة الأوروبية في مطلع العصور الحديثة من أهم المظاهر التي تمخضت عن النهضة الأوروبية، فهي بمثابة حدث هام في تاريخ أوروبا استمدت أصولها وجذورها من تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، إذ أصبح الإصلاح الديني من أهم الموضوعات التي تؤثر في فكر وحياة الأوروبيين خاصة بعدما ازدادت مفسدات الكنيسة وأنصار الكاثوليك.

وسنحاول في هذه الدراسة تقديم بعض التوضيحات المهمة عن حركة الإصلاح الديني التي قادها الراهب الديني الألماني مارتن لوثر الذي دعا إلى إصلاح الكنيسة والحد من تجاوزاتها واضطهادها للناس، ضمن خطوة مهمة للحد من سيطرة الكنيسة على حياة الإنسان، ليس الألماني فحسب، بل الأوروبي بصفة عامة، خاصة بعدما تطورت مساعي لوثر الإصلاحية لتشمل مجالا واسعا من أوروبا بعد تأسيسه للمذهب البروتستانتي.

وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء بنوع من التفصيل على الدواعي والأسباب الحقيقية لانطلاق حركة الإصلاح الديني من الإمارات الألمانية، مع تتبع النشاط الإصلاحي لمارتن لوثر من حيث مبادئه وأفكاره وانتشارها خارج ألمانيا، إلى غاية انفصاله عن روما وتأسيسه للمذهب البروتستانتي، وهذا من خلال محاولتنا الإجابة على الإشكالية التالية: كيف كان الواقع العام لانتشار وتطور حركة مارتن لوثر من اللّوثرية الألمانية إلى البروتستانتية الأوروبية؟.

1- أسباب انطلاق الإصلاح الديني في ألمانيا قبل غيرها من الدول الأوروبية:

لقد انطلقت حركت الإصلاح الديني بقوة خلال القرن 16م انطلاقا من الإمارات الألمانية في أول الأمر، ومما لا شك فيه أن هناك جملة من الأسباب التي تفسّر قيام حركة الإصلاح الديني في ألمانيا قبل غيرها، ومن أهمها نذكر:

- ظهور الطبقة البرجوازية في ألمانيا: ظهرت في ألمانيا طبقة عملت في مجال التجارة والصناعة فازدادت ثرواتها وتضخمت حتى حلّت محل طبقة الأمراء في توجيه حكم ألمانيا، وكانت هذه الطبقة تعمل على تدعيم مركزها وحماية نفسها عن طريق اللّجوء إلى رجال الدين لمواجهة الأمراء والإمبراطور، حيث استغل ذلك رجال الدين في فرض الضرائب والأموال الضخمة على الشعب مما أثقل كاهلهم من عبئ الضرائب (عبد العزيز ومحمد ، 1999، ص 119).

- طبقة الفرسان: كانت ألمانيا تزخر بعدد كبير من الفرسان، وهؤلاء الفرسان من طبقة النبلاء، إلّا أنّهم فشلوا في تطوير أنفسهم ومواكبة ركب التقدم الذي بدأ يظهر مع بداية عام النهضة، فقد كان اعتمادهم الأساسي على الأرض في الوقت الذي تضاعفت فيه قيمة الأراضي الزراعية، كمصدر أساسي للثروة، كما أنّهم لم يستطيعوا مواكبة تطور أساليب الحرب والقتال، ولهذا كانت هذه

الطبقة تحقد على الطبقة البرجوازية وتتحنن الفرصة لضرب النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المتطورة (إبراهيم، 1997، ص 64).

- طبقة الفلاحين: كانت هذه الطبقة حقلا خصبا للنهب من الطبقات الأخرى في وقت كانت فيه هذه الطبقة تعاني من التدهور الاقتصادي الذي حل على الزراعة، وكانت مجالا سهلا لرجال الدين لفرض الرسوم المختلفة، لذلك فقد وجدت في الإصلاح الديني فرصة لإنقاذ أنفسهم مما هم فيه من ظلم وجور.

- الصراع بين الإمبراطور والبابوية: كانت هناك رواسب تاريخية في العقلية الألمانية إزاء البابوية، فكثيرا ما كانت تنشأ صراعات بين الكنيسة والإمبراطورية مثل الصراع الذي نشب بين الإمبراطور هنري الرابع والبابا جريجوري السابع، فنشأت لهذه الأسباب كراهية الشعب الألماني للكنيسة روما، كما رفض الألمان فكرة الاعتراف بسلطة البابا الشاملة (نكولا، 1998، ص 188).

هذا وقد شهد النصف الثاني من القرن الخامس عشر ميلادي في ألمانيا، نهضة فكرية رائعة، بدأت باختراع يوحنا جوتنبرغ للطباعة حوالي سنة 1450م، ومن ألمانيا انتشرت الطباعة في إيطاليا وفرنسا وإسبانيا وإنجلترا وبقية دول أوروبا، وسيطر الألمان على المطابع في تلك البلدان تقريبا، وبدأت آلاف الكتب تظهر في الأسواق، كما بدأ الناس يهتمون بالكتاب عامة وبالكتب الدينية خاصة، فهذه العوامل كلها هي التي مهدت لظهور حركة الإصلاح الديني في ألمانيا قبل غيرها (الدسوقي، 1962، ص 53).

2- الإصلاح الديني اللوثيري في ألمانيا:

1-2- المصلح الديني مارتن لوثر:

ولد مارتن لوثر بتاريخ 10 نوفمبر 1483م (منصور، دت، ص 95)، في مدينة إيزلين (Eisleben) بمقاطعة سكسونيا (James, 1929, p 58)، من أبوين يعيشان على فلاحية الأرض في أسرة فقيرة تحسّنت أحوالها المادية، عندما التحق والده ربّ تلك الأسرة بالعمل في إدارة أحد المناجم (عبد العزيز، 1997، ص 13).

إن فقر أسرة لوثر قد أثر إلى حد كبير على نشأته، فنشأ في ظلّ حياة صعبة وقاسية، كما عاش في حداثة سنّه في بيئة انتشرت فيها الخرافات الدينية والمعتقدات الزائفة، التي صورت المسيح في صورة المنتقم الجبار الذي يتوعد الناس بأقصى أنواع التعذيب والعقاب في الآخرة فتسلّط عليه الخوف وتملكه القلق والإحساس بالرغبة من الانتقام الإلهي، ولم تقنع نفسه بالوسائل التي كانت تقدمها الكنيسة لهدئة عذابه النفسي (البطريق ونوار، 1997، ص 94).

لقد شب لوثر محبّا للتعليم، فتلقى قسطا وافرا منه في مدارس إخوان الحياة العامة، كما اهتم والداه بتعليمه رغم فقرهما، فأرسله سنة 1497م إلى المدرسة اللاتينية في ماغديبورج

(Maghdeburg)، ومنها إلى جامعة أرفرت (Arfort) أين درس القانون، إلا أنه نتيجة لما تسلط عليه من خوف وقلق ديني، قرر سنة 1505م أن ينخرط في سلك الرهبنة، لعلّ في ذلك نجاة له من خطاياه، فدخل دير أوغسطين (عمر عبد العزيز، 1992، ص 162). حيث انكب على الصلاة والتقشف وتعذيب النفس، أملا في الوصول إلى رحمة الله وعفوه، وفي الوقت نفسه كان يدرس علم اللاهوت حتى نال شهادة الدكتوراه، وفرغ وقته للتدريس والوعظ (سيد صالح، 2009، ص 99).

في سنة 1508م، استدعي للتدريس في جامعة فتنبرج (Wittenberg) (رمضان، 1997، ص 114) بمقاطعة سكسونيا، فدرس الفلسفة، وتولى شرح كتاب "الأخلاق إلى نيقوماخوس" لأرسطو، واستمر ذلك عامي (1509م – 1508م)، ف شعر أن هذه مهمة صعبة عليه، ويتضح ذلك من خلال ما كتبه لصديقه القسيس "يوهانس براون" إذ يقول: "إذا أردت أن تعلم كيف حالي فاعلم أنني في حالة طيبة بفضل الله، لكن الدّراسة صعبة شاقّة، خصوصا دراسة الفلسفة..." (ميرسيا، 1987، 261).

استطاع لوثر بفضل تدريسه في هذه الجامعة أن يجلب الانتباه، حيث لمع اسمه والتف حوله الرّواد، من تلاميذه المعجبين بأرائه وتأملاته، خاصة وأنه استطاع أن يكون لنفسه بعض الآراء التي يخالف بها الكنيسة الكاثوليكية، لا سيما مسألة الخلاص والتطهّر من الخطايا (البطريق ونوار، 1997، ص 90)، وهو ما جعل بعض المؤرخين يصفونه بالشخصية الطموحة، فلا يغربنّ عن بال أحد تفسير مثل هذه الشخصية التي تركت بصماتها في مجال الفكر العالمي، فلوثر عبّر عن حياة الفلاح وبؤسه، وعرف معاناة العامل وعوزه، ثم عاش بعدنّ حياة القصور والسلطان والثراء والمجد، وأصبح بحكم عمله في الجامعة، وبأفكاره الجريئة جليس العديد من الأمراء الألمان (عبد العزيز عبد الغني، 1997، ص 15). هذا وقد امتاز لوثر بميزات الخلق الألماني، وقوة الشخصية والثقة بالنفس والقدرة على التأثير في الغير (أباضة، 2003، 221).

2-2- مبادئ و أفكارمارتن لوثر:

لقد زار لوثر روما سنة 1511م في مهمة رسميّة بصفته ممثلا لطائفة القديس أوغسطينوس، وكانت هذه الزيارة محور تحوّل خطير في حياته، فقد هاله ما رآه من انهيار المعايير الأخلاقية لدى رجال الدّين هناك، وعبّر عن ذلك بقوله: "إنّ كل من يذهب إلى روما يشعر بأن عقيدته الدينية ترنّج تحت الضربات التي تصيبه من جُزء ما يرى هناك". ثم عاد إلى فتنبرج وقلبه مفعم بالسّخط على رجال الدين (الجمال، 2000، ص 47)، وهكذا ظل لوثر حائرا شديدا الارتباك من جراء شكوك أخذت تراود نفسه، حيث كان يخشى ألاّ تنقذه جميع تضرّعاته وصلواته –خصوصا بعد انخراطه في سلك الرهبنة– من سعي جهنّم، وعليه بدأ يفحص ويتأمل حتى اهتدى إلى العقيدة التي بعثت في نفسه الهدوء والرضا والطمأنينة، فرأى أن الإيمان برحمة الله يكفل النّجاة من عقابه وأن

الصلاة والعبادة بجميع طقوسها وأشكالها، ليست كافية للخلاص من الخطايا، وإنما يتخلص الإنسان من خطايها بإسداء الحمد والشكر من قلب طاهر سليم على العلي القدير، تلك هي العقيدة التي اهتدى إليها لوثر من دراسته للكتاب المقدس ورسالة الرسول بولس إلى مسيحي روما، وسمّيت بعقيدة التبرير بالإيمان (Justification By Faith) (أبو عليّة، 1985، 94)، وقد عاش لوثر بهذه العقيدة راضياً مطمئناً لبضع سنوات يبشّر بها بين تلاميذه في هدوء وسلام، دون تدخل في السلطة والكنيسة، إلى أن جاء دوره ليعلن على الملأ مبادئه وآراءه التي كان لها الأثر الكبير في مجرى التاريخ الأوروبي كله (البطريق ونوار، 1997، ص 90).

لم ينتبه أحد إلى تعاليم لوثر إلى أن جاءت سنة 1517م (الدسوقي، 1962، ص 54)، ففي هذه السنة حدث ما رفع لوثر بغته أمام الأنظار، ذلك أن البابا ليو العاشر بنشر صكوك الغفران كنيسة القديس بطرس في روما، ولجمع المال اللازم قام البابا ليو العاشر بنشر صكوك الغفران بصورة واسعة في جميع أنحاء ألمانيا (سيّد أشرف، 2009، ص 99)، فأرسلت الكنيسة في سنة 1517م الرّاهب حنا تزل (Tetzel) من طائفة الدّومينيكان، لبيع صكوك الغفران في بعض المقاطعات الألمانية (عمر عبد العزيز، 1992، ص 19)، وانبرى هذا الراهب ينادي على بضاعته من صكوك الغفران في مدينة أنابيرج بـساكسونيا، ويؤكد بأعلى صوته أن شراء تلك الصكوك يغفر ذنوب الأحياء منهم والأموات مهما تناهت كبرا، حتى وإن مارس المشتري أو المشتري عنه الفاحشة مع العذراء ذاتها (عبد العزيز عبد الغني، 1997، ص 19).

لقد تصدى لوثر لهذا القس الزنديق وطرده من المدينة، وكان ذلك بمثابة أول خطواته الإصلاحية، ودخل في مناقشات علنية مع يوحنا تزل حول الغفران في المسيحية الذي يكون عن طريق التوبة والندم والاعتراف والجزاء أو التكفير، وذلك عن طريق الصلاة والصوم، إلا أن بابوات روما استبدلوا التكفير بالاشتراك في حرب صليبية أو الحجّ إلى روما لزيارة قبور القديسين وتقديم الهبات والصدقات، فتحوّلت المسألة إلى مسألة اقتصادية بحثة خاصة بعدما خُصّصت بنوك لجمع هذه الهبات، ومن ثم فقد كانت هذه الصكوك سببا للانحلال والتسيّب، فما أسهل أن يرتكب الفرد الجرائم والزّنا، ثم يشتري صك الغفران حتى يغفر له ما اقترف من ذنوب (نوار ومحمود، 1999، ص 122).

استاء لوثر من هذه العملية، وفي عيد الشهداء 31 أكتوبر 1517م، علّق احتجاجا صارخا منشورا باللغة اللاتينية على باب كنيسة مدينة فيتنبرج، وقد ضم هذا الاحتجاج 95 بندا اعتراضا على كنيسة روما، فأذّان صكوك الغفران، وتناقل الناس هذه الاحتجاجات في كل مكان (عمر عبد العزيز، 1992، ص 165)، كما طالب لوثر من رجال الدين مناقشته في تلك النقاط، وأوضح كل الوضوح أن التوبة الصادقة هي الشرط الأساسي للغفران (الدسوقي، 1962، ص 54).

وفي أثناء جداله مع يوحنا تزل وغيره من مؤيدي الكنيسة (عمر عبد العزيز، 1992، ص 167)، تعرّض لوثر بالنقد اللاذع لنظام الكنيسة وسلطتها العليا وتعاليمها، وأعلن أنه يجب الاعتماد على الكتاب المقدّس وحده في تفسير العقائد والمسائل المختلفة، وعدم الاعتماد الكامل على رجال الدين (نوار ومحمد محمود، 1999، ص 122)، إذ أن كل شخص مثقف باستطاعته أن يقرأ الإنجيل، وهو حرّ في تفسيره (البطريق ونّوار، 1997، ص 91).

ومن جهة أخرى أكد لوثر أن الروح ستجد طريقها مباشرة إمّا إلى الجنة أو إلى النار، وبذلك فهي ليست في حاجة إلى صكوك الغفران، بل تحتاج إلى الرحمة الإلهية، وأكد لوثر حجته بما جاء في الإنجيل: "أما البار فبالإيمان يحيى"، فتراث روما الديني كله والحج إليها، واحتفالات تلك الكنيسة، وإيقاد الشموع، وكلّ ما إلى ذلك من التراث الكنسي العريق لا معنى له، وجادل بأن الغاية من العبادة هي القيام بما كلف الله الإنسان به من الشكر والحمد وليس طلب الغفران (هبريت، 1965، ص 114)، وانتهى لوثر إلى أنه يجب على كل مؤمن أن يقوم حياته بالعبادات ويهذبها، أمّا الغفران فذلك أمر لا يتأتى إلا بالعبادة، التي هي تكليف إلهي لا تمنح للإنسان استحقاقا خاصا عند الله (عبد العزيز عبد الغني، 1997، ص 21).

لقد وجه لوثر دعوته إلى الفرسان والأمرء الألمان حتى يتزعّموا حركة الإصلاح الديني، إذ آل على نفسه أن يرغم الكنيسة على الإصلاح بعد أن فشلت المحاولات الأخرى من جانب رجال الكنيسة، وكان عدد من هؤلاء الأمرء والفرسان مستعدا لقبول هذه الدعوة والانضمام إلى لوثر، خاصة بعد أن أوضح مبادئ دعوته وهي:

- إخضاع رجال الدين للسلطة المدنية، وهذا ما شجع الأمرء على الانضمام إلى لوثر.
- ليس للبابا حق في احتكار تفسير الكتاب المقدس، فهو حق مشاع لكل قادر ودارس وليس له الحق في إصدار صكوك الغفران.

- عدم إنشاء أديرة جديدة (نّوار ومحمد محمود، 1999، ص 123).
- تخفيض عدد الأديرة إلى عشرين والسّماح لمن يريد ترك حياة الرّهبة بتركها أي الاتجاه نحو إلغاء الرّهبة والديريّة (اليافي، 2000، ص 174).

- إباحة الزواج لرجال الدّين مثل باقي الناس، وإباحة الطلاق للمسيحيين، وقد تزوج لوثر فيما بعد بإحدى الرّاهبات تدعى كاترين بورا (Catrine Pora) (عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق، 2000، ص 48).

- إصلاح الجامعات وإلغاء دراسة أرسطو من مناهجها.
- التقليل من الأعياد الكثيرة؛ لأنها تُعدّ سببا في تأخير أعمال الناس اليومية (جفري، 2006، ص 186).

وقد لاقت آراء ومبادئ لوثر رضا الكثيرين، والتفّ حوله أتباع متحمسون في ألمانيا، وهم أولئك الساخطون على تصرفات الكنيسة في روما، وتحكم البابا في العباد، وإدعاؤه بأنه واسطة الغفران عند الله، وخلال سني 1519م و1520م عبأ لوثر الرأي العام بسلسلة من الكتابات الدينية التي ضمنها تفسير العقيدة الجديدة، وأوضح أن إدعاء الإكليروس بأنهم أصحاب الكلمة الأخيرة، وأنهم يختلفون عن عامة الناس إدعاء كاذب، وعلى الناس أن يبحثوا عن الحقيقة بأنفسهم في الكتاب المقدس (البطريق ونّوار، 1997، ص 91)، كما كان لوثر في غاية النشاط والحيوية حيث ألف كثيرا ونشر ذلك على أوسع مجال، ومن أعظم أعماله ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الألمانية، فأصبح من السهل على أي إنسان أن يقرأ الكتاب المقدس دون أن يعتمد على كهنة الكنيسة، كما أن جمال عبارة لوثر قد أثرت في الأدب الألماني المعاصر (الدسوقي، 1962، ص 55).

3- تطورو وانتشار حركة مارتن لوثر: (من ألمانيا إلى دول أخرى).

إن اللّوثرية التي بدأت عند مطلع القرن السادس عشر، كان مُقدّرا لها أن تنال قسما وافرا من النجاح، وأن تصبح عاملا دائما في تاريخ أوروبا الاجتماعي والديني، فلم تلبث هذه الحركة – اللّوثرية- أن شقّت طريقها وسط المصاعب والأخطار والمنافسات السياسية بين حكام المقاطعات الألمانية وكوارث الحروب الدينية، حتى انتشرت في مدن شمال ألمانيا بوجه عام، إضافة إلى عدد هام من مدنها الجنوبية (عمر عبد العزيز، 1992، ص 179).

لقد انتشر المذهب اللّوثيري في شمال أوروبا، أما إنجلترا فقد ظهرت فيها الكنيسة الإنجليكانية، كما انتشر هذا المذهب أيضا في كل من السويد والدنمارك (الممالك الإسكندنافية)؛ لأن هذه الأراضي كانت حقا خصباً لنشر المذهب الذي يعادي الكنيسة الكاثوليكية للحصول على أراضيها، فنجد أن ملك السويد جوستاف فازا اعتنق المذهب اللّوثيري رغبة منه في الحصول على أراضي الكنيسة الكاثوليكية فيها (نّوار ومحمد محمود، 1999، ص 1333)، كما اعتنق عدد كبير من المقاطعات السويسرية المذهب اللّوثيري، ونفس الأمر بالنسبة لمقاطعة بروسيا الشرقية هذه المقاطعة التي كانت دولة كنسيّة تابعة للمرتبة التّوتونية التي هي منظمة كاثوليكية، فوجد ألبرت آل هوهزلين حاكم براندنبورج الفرصة سامحة في سنة 1525م لاعتناق الملة اللّوثرية، وإعلان نفسه حاكما وراثيا على المنطقة التي كان يحكمها نيابة عن الكنيسة (عبد العزيز عبد الغني، 1997، ص 36).

وعموما فإن بلدان الشمال الأوروبي انقلبت كلها تقريبا في جهة لوثر والإصلاح الديني، أما بلدان الجنوب الأوروبي، فقد بقيت كاثوليكية في معظمها، ومخلصة لبابا روما (حكيم العراقي، 2010).

وفيما يخص العوامل التي ساعدت على انتشار اللّوثرية، فإننا نذكر منها ما يلي:

- شخصية لوثر: عُرف لوثر بقوة إيمانه، وفهمه الكامل للروح الألمانية، ومعرفة آلامها آمالها، كما أنه كان ذا قدرة عالية على الإقناع، هذا ما جعل فريقا كبيرا من الشعب الألماني يعتقدون أنهم يستطيعون بقيادة لوثر الوصول إلى الحقيقة الخالصة، التي ظلت مختفية لفترة طويلة بين طيّات فساد الكثير من الكتب الكاثوليكية (نوّار ومحمد محمود، 1999، ص 134).

- زعامة لوثر: كان لوثر من وجهة نظر الشعب الألماني زعيم القومية الألمانية الحديثة، ذلك أنه رفع شعار "ألمانيا يجب أن تكون للألمانيين فقط"، هذا الشعار الذي وجد أذانا صاغية من قبل الألمان، نظرا لما عانوه من التدخل الأجنبي فترة طويلة من الزمن، فقد كره الألمان البابا لأنه إيطالي قبل كل شيء، وكرهوا الإمبراطور شارل الخامس (1519م - 1556م) لأنه إسباني، وقد ساعد هذا الكره على التفاف العناصر الألمانية حول لوثر (الدسوقي، 1962، ص 55)، فلم يعد لوثر في نظرهم داعية دينيا فحسب، ولكن زعيما قوميا أولا وقبل كل شيء، ولهذا فقد نجحت دعوته لأنها دعوة إلى التحرر من قيد السيطرة الأجنبية (أباضة، 2003، ص 224).

- صداقة لوثر لفريدريك ناخب سكسونيا: مما ساعده على نشر دعوته، حيث قدم فردريك خدمات جليلة للوثر، إذ جعل جامعته منبرا لنشر الدعوة اللّوثرية بها، ولهذا فقد كانت هذه الجامعة تقوم بنشر كتب لوثر وأرائه وتوزيعها (نوار ومحمد محمود، 1999، ص 134). ولا يفوتنا ما كان للعالم فيليب ملانكتون (Philippe Mélancton) (1497-1560)، من فضل على هذه الحركة، فقد قدم إلى جامعة "wittenburg" سنة 1518م ليدرس بها الآداب الإغريقية اللاتينية، ولم يلبث أن أصبح من أخلص تلاميذ لوثر و أتباعه، ومن أشهر المدافعين عن القضية اللّوثرية (عصمت راشد، 2000، ص 104).

- حالة الإمبراطورية السياسية: لقد ساعدت الظروف السياسية التي أحاطت بألمانيا على انتشار الحركة اللّوثرية (صالح، 2010)، حيث كانت ألمانيا مقسّمة سياسيا إذ كانت إمبراطورية في الاسم بينما كانت في الواقع اتحادا فدراليا، يضمّ الولايات المستقلة التي لا تقبل التّدخل في شؤونها، فلم يكن في استطاعة الإمبراطور دون مساعدة دويلات ألمانيا العظمى أن يفرض الضرائب، أو أن يجمع جيشا أو يعلن حربا، ولم يكن من السهل عليه أن يحصل على موافقة تلك الدويلات الألمانية، هذا ما ساعد على نجاح لوثر (هبريت، 1965، ص 152)، كما أن الإمبراطور لم يكن في حالة تسمح له بالانتصار على أعدائه اللّوثرين، حيث كان مشغولا بحروبه ضد أسرة "الفالوا" في فرنسا كما أرسل حملات كبيرة لمحاربة المسلمين في شمال إفريقيا والنمسا، وكان عليه أيضا أن يصد الأتراك العثمانيين الذين كانوا يهددون حدود الإمبراطورية الشرقية (عصمت راشد، 2000، ص 105).

- الحروب الإيطالية (1494م - 1559م): ساعدت الحروب الإيطالية بما لا يدع مجالا للشك، أن تجعل حركة الإصلاح الديني تسير في طريقها الصحيح، حيث أنها شغلت حكام أوروبا الكاثوليك في حروبهم من أجل السيطرة السياسية في القارة، كما أن البابا نفسه دخل في مضمار الصّراعات العديدة، التي لم يستطع مواجهتها مواجهة حاسمة، واكتفى بإصدار قرارات الحرمان التي فقدت أهميتها، ذلك لأنه كان مشغولا في مواجهة السيطرة الفرنسية ثم الألمانية على إيطاليا، كما أنه كان يعمل من أجل الاستحواذ على إقليم رومانا وفلورنسا الإيطاليتين (نوّار محمود محمد، 1999، ص 135).

- عصر لوثر الذي هو عصر النهضة الأوروبية: وفيه تفتحت عقول الأوروبيين بعد أن أخذوا في التحرر من سلطة البابوية وعصر الإقطاع، إضافة إلى المقالات الهامة التي ألفها ونشرها وطبعها وعمّمها على أفراد الشعب الألماني (أبو عليّة ويّاغي، 1985، ص 110).
- ترجمة الإنجيل إلى الألمانية: حيث طبع هذه الترجمة ونشرها ووزّعها على الألمان، كما ساهمت المطبعة التي اخترعت حديثا في ألمانيا مساهمة فعالة وجادة في نقل أفكار لوثر إلى الألمان بصفة خاصّة والأوروبيين بصفة عامة (عصمت راشد، 2000، 105).

هذه العوامل كلها ساعدت على انتشار الحركة اللّوثرية، لكن في مقابل ذلك لم يكن من نصيبها الدّيوّع والانتشار في كل أنحاء أوروبا، وهذا راجع إلى عدّة عراقيل نذكر منها:
- صعوبة العقيدة اللّوثرية وتعقيدها وعجز المفسّرين عن تفسيرها، خصوصا فيما يتعلق بأمور القربان والتبرير بالإيمان، فهما قائمان على فلسفة عميقة تحتاج إلى تعمّق في الأمور الدّينية والدراسات اللاهوتية (اليافي، 2000، 169).
- اعتماد زعيمها على الأمراء والسلطة العلمانية، مما جعل معظم الناس ينفضون من حوله خاصة عندما أخذ يؤيد الأمراء ضد طبقات الشعب، وعندما أيّد الفرسان والنبلاء ضدّ الفلاحين...الخ (أبو عليّة ويّاغي، 1985، ص 108).

- عدم تفكير لوثر في نشر عقيدته خارج ألمانيا، لأنه كان يعتمد في المقام الأول على الشعور القومي، وعلى البواعث والأسس الوطنية للتخلص من فكرة عموميّة البابوية في أوروبا، وهو ما أدى إلى وقوع الخلاف في صفوف اللّوثرين أنفسهم بعد وفاة لوثر من جهة، وإلى صعوبة التغلب على الكاثوليكية المنظمة من جهة أخرى، خاصة عندما امتنع لوثر عن الالتجاء إلى القوة والعنف في نشر مذهبه (جلال، د.ت، ص 496).

- عدم اهتمام لوثر بمسألة تحديد وتعريف العقيدة البروتستانتية الجديدة، بشكل يفهمه عامة الناس (نوّار ومحمد محمود، 1999، ص 133).

- ظهور مصلحين دينيين آخرين في بلاد أخرى، اعتنق سكانها آراءهم وأفكارهم الدينية كما حدث في فرنسا وسويسرا عندما ظهر كالفن وزوينغلي، وكما حدث في هولندا وإنجلترا عندما شارك رجال الإصلاح في نشر آرائهم الإصلاحية (أبو عليّة ويافي، 1985، ص 108).

- شدة الموقف البابوي والإمبراطوري من الأفكار اللّوثرية في أوروبا، ومع أن هذا الموقف كان كالسيف ذو الحدين، إلا أنه أوقف انتشار المذهب اللّوثري (جلال وطه، 1974، ص 164).

4- انفصال مارتن لوتر عن روما والكنيسة الكاثوليكية وتأسيس المذهب البروتستانتي:

ظهر المذهب البروتستانتي في أوروبا خلال القرن السادس عشر ميلادي، كنتيجة لحركة الإصلاح الديني، وذلك عندما انفصل لوتر عن روما والكنيسة الكاثوليكية وأسس المذهب الجديد (جلال، د.ت، ص 498). وقد سمي هذا المذهب بـ: "المذهب البروتستانتي"، والبروتستانت (Protestant) هي كلمة لاتينية تعني المحتج والمعارض، وقد دُعي بذلك لأن أتباعه احتجوا على بابا روما، وعارضوه في أشياء عقائدية كثيرة (Kuhn, 1984, p 83).

وعن نشأة هذا المذهب يقول المؤرخ ستيفان براون في مؤلفه "المذهب البروتستانتي": "نشأ المذهب البروتستانتي في القرن السادس عشر، كردّ فعل على الكنيسة الكاثوليكية التي تجاوزت الحدود في الفساد الأخلاقي، والخروج على الإنجيل ومبادئ الدين المسيحي" (السوداني، 2009)، فقد وصل الأمر بالبابا وكبار رجال الدين آنذاك إلى حد المتاجرة بالدين من أجل كسب المال بأي طريقة كانت، وهو ما جعل لوتر يحتج بقوة على هذا الانحراف خاصة عندما أمر البابا ببيع صكوك الغفران من أجل جمع أكبر قدر ممكن من المال من الشعب الألماني، وبقية الشعوب المسيحية الأوروبية، وبما أن الشعب الألماني آنذاك كان فقيراً جاهلاً وكان يخاف على مصيره بعد الموت، ويطيع رجال الدين بشكل أعمى، فإنه كان يشتري هذه الصكوك حتى يفوز بالجنة، وتسلم روحه من النار (الدسوقي، 1982، ص 55).

أمّا فيما يخص الكنائس والأديرة فقد صارت أماكن الفسق والفجور (ديورانت، د.ت، ص 185)، وأمام هذا الوضع الذي آلت إليه الكنيسة المسيحية أخذ لوتر ينشر أفكاره التي تفند إدعاءات رجال الدين، حيث كان يقول للشعب الألماني: "الدين لا يشتري بالمال، كما أن الجنة ليست لمن يدفع أكثر المال لبابا روما، بل هي للمؤمنين الحقيقيين الذين يخشون الله ويعملون صالحاً ويرأفون بالفقراء، وبالتالي فإن صكوك الغفران لا تفيدكم، فلا تشتروها..." (عمر عبد العزيز، 1992، ص 157).

ومن جهة أخرى أكد لوتر للألمانيين أن بابا روما بشر مثلهم، وهو ليس معصوماً أبداً، هذا ما جعل البابا يحاول قتله لكنه لم يستطع؛ لأن الأمة الألمانية اجتمعت حول لوتر وحمته، ومنذ ذلك

الوقت ظهر الإصلاح الديني في أوروبا انطلاقاً من ألمانيا، فتشكل المذهب البروتستانتي الذي أصبح المنافس الأكبر للمذهب الكاثوليكي في أوروبا (نوّار ومحمود محمد، 1999، ص 101).

كان المذهب البروتستانتي يهدف إلى إصلاح الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا الغربية، ومن أجل ذلك قام البروتستانتون بترجمة الكتاب المقدس بحماس إلى اللغات المحلية الأوروبية ونشروه بين جميع فئات الشعب بعد أن كان ذلك ممنوعاً في الكنيسة الكاثوليكية (Kuhn, 1984, p 83).

وقد تميز المذهب البروتستانتي عن غيره من الطوائف المسيحية الأخرى بما يلي:

- الكتاب المقدس هو المصدر الأعلى للمسيحية وليس تعاليم البابوية.

- يفسّر الكتاب المقدس تفسيراً حرفياً وليس مجازياً.

- ليس للبابا الحق في احتكار تفسير الكتاب المقدس.

- عدم الاعتراف بسلطة البابا وصكوك الغفران وبعض عبادات وطقوس الكنيسة الكاثوليكية.

- يرحّب البروتستانت بزواج رجال الدين، إذا شاءوا ومن أراد أن يبقى عازباً فإن حرية الاختيار متروكة له (أشرف سيد، 2009، ص 101).

هكذا زادت أهمية المذهب البروتستانتي على المذهب الكاثوليكي، لكن المذهب البروتستانتي انقسم هو نفسه إلى عدّة تيارات، فهناك التيار اللّوثيري الذي يتزعمه لوثر، ومعظم أتباعه موجودون في ألمانيا وشمال أوروبا كالسويد والنرويج والدنمارك، ثم يليه من حيث القوة تيار كالفن، المؤسس الثاني للإصلاح الديني في أوروبا بعد لوثر، وأتباعه منتشرون في ألمانيا وفرنسا وسويسرا وبلاد أخرى عديدة، إضافة إلى تيار زوينغلي هذا الأخير الذي تزعم الدعوة الإصلاحية في سويسرا، حيث يتواجد معظم أتباعه هناك (جلال، د. ت، ص 487).

5- موقف السلطتين الدينية والدنيوية من الحركة اللّوثرية:

1-5- موقف السلطة الدينية (الكنيسة):

هاجم لوثر الكنيسة الكاثوليكية في صحيح سلطتها وعقيدتها، ولم يلبث أن كتب رسالة إلى البابا بعنوان "فيما يمس الحرية المسيحية"، قال له فيها: "إنك لا تستطيع أن تنكر أنّ ما يسمى بهيئة الكهنوت الرومانية هي أفسد من بابل وسدوم، ولقد أظهرت احتقاري حقاً، وانتابني الغضب؛ لأنّ الشعب المسيحي يُخدع تحت ستار اسمك واسم الكنيسة المسيحية، لهذا قاومت وسأظل أقاوم ما وجد في عرق ينبض بروح الإيمان" (رمضان، 1997، ص 101).

وأمام هذه المواقف المتزايدة التشدّد التي تبناها لوثر، والتي تمس الكنيسة الكاثوليكية في وحدتها ومعتقداتها ومؤسّساتها، بادر البابا ليو العاشر إلى إصدار إعلان يندّد فيه بأفكار لوثر، ويهدّده بالحرمان، غير أن لوثر رد على ذلك بحرق المنشور البابوي علناً يوم عيد الميلاد من سنة

1520م، مما أدى إلى صدور قرار بابوي، ألا وهو قرار الحرمان (Excommunication) ضدّ لوثر في ديسمبر 1520م (أشرف سيد، 2009، ص 103).

وفي هذه الظروف العصبية من حياة لوثر، أصبح له أمراء وأتباع أقوياء وأغنياء، وهو الأمر الذي أوجد له الحماية السياسية والعسكرية اللازمة، وكان في مقدمة هؤلاء فريدريك حاكم سكسونيا الذي تبني حركة لوثر وعارض هو الآخر قرارات البابوية (نعني، 1983، ص 60)، واتسعت بذلك حركة لوثر مما أدّى إلى عقد مجمع ديني في يناير 1521م بمدينة وُرمز (warms) يحضره لوثر ليبرّر تصرّفاته وأفكاره (أبو عليّة ويافي، 1985، ص 101).

حضر لوثر هذا المجمع الديني بعد أن منحه الإمبراطور أمانا شخصيا يتيح له السفر من مدينة وتبرج إلى مدينة ورمز، والإقامة في المدينة الأخيرة طيلة فترة انعقاد المجمع الديني، ثم العودة إلى بلده دون أن يلقي القبض عليه أو يتعرض له أحد بسوء (عمر عبد العزيز، 1992، ص 158). وقد طلب المجمع من لوثر العدول عن مواقفه، فكان جوابه: "لا يمكنني العدول أو التراجع عن كل ما كتبته أو قلته، إلا بشرط واحد، هو أن يبيّن لي أحدكم أن أقوالي وكتاباتي تناقض الكتاب المقدّس، أو تناقض مبادئ العقل والضمير، أو تُبَيّنوا لي بأنها غير سليمة، أو غير مستقيمة". وأنهى كلمته بالقول: "ما عدا ذلك لا يمكنني التراجع عن آرائي، أو العمل بخلافها، على هذا عاهدت نفسي، وسأكون على العهد مقيما، أعاني الله، آمين" (أشرف سيد، 2009، ص 102). هكذا ظلّ لوثر متمسكا بمواقفه باعتبارها مطابقة للكتاب المقدس والمنطق السليم، عندئذ أصدر المجمع قرارا اعتبر فيه لوثر خارجا على السلطة القائمة وطرده خارج القانون، وإهدار دمه، وحرّم على جميع الألمان إيوائه أو تزويده بالطعام أو الشراب، كما حرّم عليهم قراءة كلمة واحدة مما كتبه (رمضان، 1997، ص 122).

لقد نجا لوثر من الموت، وذلك بمساعدة صديقه فريدريك حاكم سكسونيا الذي أعطاه الحماية سرّا في قلعة وارنبورغ (Wartburg)، حيث ظلّ مختبئ فيها لمدة سنة كاملة، تفرّغ خلالها إلى ترجمة الكتاب المقدس للغة الألمانية فاعتبر ذلك العمل الضخم بمثابة حجر الأساس في تاريخ الأدب الألماني (الدسوقي، 1982، ص 57).

وبينما كان لوثر مختبئ في قلعة وارنبورغ، أخذت حركة الإصلاح الديني في الانتشار في ألمانيا، وحدث في هذه الفترة أن تلاحت أفكار لوثر الإصلاحية الدينية، وتفاعلت مع دعوات إصلاحية أخرى ذات طابع سياسي واجتماعي واقتصادي، فأدت إلى أحداث تجاوزت الأبعاد العقائدية، وهذا ما لم يكن يريده أو يسعى إليه لوثر (نعني، 1983، ص 59)، إذ فهم بعض الفرسان من صغار النّبلأ أفكار لوثر أنها دعوة للثورة العامة، فهاجموا بعض الدويلات التابعة للكنيسة سنة 1523م، واستولوا على أراضيها وقسموها فيما بينهم، وفي سنة 1524م قامت حركة ثورية في ألمانيا

تزعمها الفلاحون الذين فهموا أفكار لوثر أنها دعوة للحرية والمساواة، وان هذه الأفكار هي الطريق الوحيد لإصلاح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية السيئة، فسعوا للتخلص من سلطة كبار ملاكي الأرض (رمضان، 1997، ص 128).

لم يوافق لوثر على هذه التحركات، بل ذهب إلى حدّ مقاومة ثورة الفلاحين بشدّة حين تصلّبو في مطالبهم الاجتماعية والاقتصادية، وعمل على قمع حركاتهم بأقصى شدّة وعنف، فقد كان لوثر واضحا على أن تكون دعوته دينية إصلاحية فقط، ووقف بشكل حازم إلى جانب السلطة والنظام والأمراء وكبار ملاك الأرض، وهو ما أدى إلى فقدان الحركة اللوثرية تأييد فئة الفلاحين، والطبقة الوسطى، والواقع أن هذه الأحداث كان لها أثر بارز في توجيه اللوثرية نحو ارتباط أوثق بالحكومات الوطنية (نعني، 1983، ص 60).

2-5- موقف السلطة الدنيوية (الإمبراطور):

لم يكن الإمبراطور شارل الخامس مسترشدا بواجبه الديني بقدر تأثره بالموقف السياسي للإمبراطورية في أوروبا، حيث كان الصّراع قائما بينه وبين فرنسوا الأول ملك فرنسا، كما كان من سوء حظّ الكاثوليكية أن انتشرت اللوثرية في ألمانيا، في الوقت الذي كان فيه الأتراك العثمانيون يهدّدون ممتلكات الإمبراطور في النمسا والمجر، فكان الإمبراطور منهمكا في ذلك النضال الخارجي، مكتفيا في الداخل بمحاولة تهدئة الأحوال في ألمانيا، حتى يستطيع اتخاذ موقف حاسم ضدّ اللوثرية، إضافة إلى هذا فقد كانت علاقة الإمبراطور بالبابا على أسوأ حال، خصوصا عندما دعا البابا "كليمانت السابع" في مايو 1526م، إلى تكوين حلف مقدّس ضدّ الإمبراطور قصد القضاء على نفوذه في إيطاليا (البطريق ونوّار، 1997، 101).

وقد مر موقف الإمبراطور من الحركة اللوثرية ومعالجته لها بعدة مراحل:

* المرحلة الأولى:

وذلك عندما أحس الإمبراطور شارل الخامس، بأن انقسام دينا سيحدث في الإمبراطورية الرومانية المقدسة بصفة عامة، وفي الولايات الألمانية بصفة خاصة، حيث دعا عندها إلى عقد مجلس إمبراطوري في مدينة سبير (Speier) في بفاريا في شهر يوليو 1526م (نوّار ومحمود محمد، 1999، ص 127)؛ للفصل في المسألة الدينية والنظر في قرارات مجمع "ورمز" الصادرة ضدّ لوثر، وقد ترأّس هذا المجلس الملك فرديناند ملك النمسا وهو أخ الإمبراطور وصدر عن هذا المجلس قراران هما:

- وجوب عقد مجلس أو جمعية وطنية في وقت قريب لإيجاد حل للأزمة الدينية المتسببة عن ظهور الحركة اللوثرية.

- يحق لكل أمير أن يسلك ما يراه بالنسبة لتنفيذ قرار ورمز بشكل يكون فيه مسؤولاً أمام الله والإمبراطور (أبو عليّة وياغي، 1985، ص 104).

كانت قرارات مجلس سبير في غير مصلحة الكاثوليك. إذ أعطى لكل حكومة الحق في أن تعيش وتحكم وتسلك المسلك الذي سوف تُسأل عنه أمام الله والإمبراطور، وبذلك أصبح لأنصار لوثر مركز معترف به (رمضان، 1997، ص 130).

* المرحلة الثانية:

لما تفاقم أمر الخلافات الدينية الإمبراطورية، دعا الإمبراطور شارل الخامس إلى عقد مجلس إمبراطوري ثاني في مدينة سبير في مارس 1529م (علي حيدر، 1990، ص 78)، ترأسه هو بنفسه وأعلن بصراحة أنه يجب عقد الجمعية الوطنية لدراسة المسألة الدينية من أجل تجنب أخطار الانقسام الديني في الإمبراطورية، والملاحظ هنا أن الإمبراطور كان يلاحظ ضرورة الحد من سلطة البابا كليمانت السابع الذي أصدر قرار "حلف كونيّاك" في 22 مايو سنة 1526م، والذي ينص على إخراج الإمبراطور شارل الخامس من إيطاليا (أبو عليّة وياغي، 1985، ص 105) وانتهى المجلس بالقرارات التالية:

- ضرورة تنفيذ قرارات مجمع ورمز.

- إلغاء الحرية التي أعطيت للأمرءاء في اختيار المذهب الذي يريدونه (رمضان، 1997، ص 130).

لقد كانت قرارات المجلس الإمبراطوري الثاني مجحفة في حق اللّوثرين الذين احتجوا وأعلنوا

ما يلي:

"We hereby protest to you that we cannot and my not concur therin, but hold the resolution null and not binding"

"إننا في اجتماعنا هذا، نحتج على هذا القرار، ونعلن أننا لن نستجيب لندائه، ونعتبره لاغيًا وغير ذي موضوع" (عصمت راشد، 2000، ص 107)، ومن هنا سعى أتباع لوثر "بالمحتجين"؛ أي البروتستانت، تلك التسمية التي لم تلبث أن شملت سائر المذاهب المسيحية غير الكاثوليكية (نوّار ومحمود محمد، 1999، ص 128).

* المرحلة الثالثة:

حاول الإمبراطور حسم النزاع الديني بالطرق السلمية؛ لأنه كان يخشى اشتعال الحرب الأهلية في الإمبراطورية، وهو في ظرف لا يسمح له باتخاذ لأي إجراء ضدّ اللّوثرين، لأنه كان منشغل بمحاربة العثمانيين (أبو عليّة وياغي، 1985، ص 106)، فدعى البروتستانت للاجتماع مع الكاثوليك في مجلس عُقد في مدينة أوجسبرج (Augsburg)، في يونيو 1530م (عصمت راشد، 2000، ص 107)، وفي هذا الاجتماع عرض المفكر اللّوثيري ميلانكتون (Melanckton) مبادئ لوثرية —وهذا ما

عرف فيما بعد باسم اعتراف أو جزيج (Confession of augsberg)- لكن المجلس رفض هذا الاعتراف، وأعطى الإمبراطور للبروتستانت مهلة للتخلي عن آرائهم، غير أن البروتستانت أجابوا على هذا الإنذار بتأليف إتحاد للدفاع عن مصالحهم، عُرف باسم "حلف شمالكالد Schmalkald" في ديسمبر 1531 (نوار ومحمود محمد، 1999، ص 129)، وفيه تولّى الأمراء البروتستانت مسألة الدفاع عن العقيدة اللّوثرية، وقد صيغت قرارات حلف شمالكالد على النحو التالي: "بما أنه قد بدأ محتملا اللّجوء إلى القوة لمنع الذين يبشرون بكلمة الله في مناطقهم وحرمانهم من إقامة تلك الخدمة التي ترضي الله، وبما أن الواجب يقتضي أن تقوم كل حكومة نصرانية بنشر كلمة الله بين رعاياها...، فقد اتفقنا نحن الذين نعمل لخلاصنا بالحق الإنساني والديني المكفول لكل إنسان، أنه إذا هُوجم أيّ منّا لإتباعه كلمة الله وعقيدة الإنجيل، فإن على الآخرين أن يهبوا فوراً لمساندته، بكل ما يملكون" (عبد العزيز عبد الغني، 1997، ص 37)، وأقرّ المجتمعون وضع هذا القرار حيّز التنفيذ وذلك بإقامة جيش مشترك مستعدّ بكل تجهيزات الحرب (عمر عبد العزيز، 1992، ص 166).

* المرحلة الرابعة:

خلال هذه المرحلة شكل الأمراء الكاثوليك حلفاً ضدّ البروتستانت، عرف باسم "حلف نورمبرج Nuremberg league" سنة 1532م وذلك للدفاع عن مصالحهم، وبعد أن فشل الإمبراطور في حل الخلاف سلمياً، أعلنت الإمارات الألمانية (فارتبرج، بادن، هيس، براندنبرج) انضمامها إلى المذهب اللّوثرى، فعقد البابا "بول الثالث" مجلساً دينياً في مدينة "ترنت Trent" سنة 1525م، لبحث الخلافات الدينية (رمضان، 1997، ص 131)، لكن الكاثوليك سيطروا على المجلس، كما رفض البروتستانت قبول الدعوة وحضور المجلس، وأخذ الإمبراطور يعدّ العدة للقضاء على الانقسام الديني الذي هدّد ممتلكاته بقوة، وفي هذه الأثناء توفي لوثر في 17 فبراير 1546م (سيد أشرف، 2009، ص 102)، وانقسم البروتستانت بعد وفاته، حيث انحاز موريس دوق سكسونيا إلى جانب الإمبراطور، فخسرت جيوش البروتستانت بذهابه قائداً كبيراً، وحلت بها الهزيمة في موقعة مشهورة تدعى بموقعة "مهلبرج Muhilberg" في أفريل 1547م (أبو عليّة ويافي، 1985، ص 107).

وفي ماي 1548م دعا الإمبراطور المجلس الإمبراطوري للاجتماع في أوجزبرج، وعرض عليه النظام الذي أراد فرضه على الكاثوليك والبروتستانت، وينطوي في جوهره على التمسك بالعقيدة الكاثوليكية، مع بعض التسامح لإرضاء البروتستانت في مسائل معينة كزواج رجال الدين، وطقوس العبادة البروتستانت وغيرها، وقد سعى هذا النظام بالنظام "المؤقت Lintérim"، واضطر الإمبراطور إلى استخدام الجنود لتنفيذ هذا النظام، خاصة بعد أن احتج موريس دوق سكسونيا

على النظام المؤقت، وعاد إلى صفوف البروتستانت، فاكثسوا بعودته قوة جديدة (رمضان، 1997، ص 132).

* المرحلة الخامسة:

وفيها سارت الحوادث لصالح البروتستانت، بسبب انشغال الإمبراطور بمسألة الوراثة في أملاكه، وانضمام الأمراء البروتستانت إلى هنري الثاني ملك فرنسا في معاهدة شامبور سنة 1552م، وعهد الإمبراطور شارل الخامس إلى أخيه فرديناند بالتوسط في عقد معاهدة باساو في يوليو 1552م، التي نصت على دعوة المجلس الإمبراطوري إلى تسوية جميع المسائل المختلف عليها في مدة لا تزيد عن ستة أشهر (حيدر، 1990، ص 80).

وبعد وفاة الإمبراطور انعقد المجلس الإمبراطوري في فبراير 1555م، بمدينة أوجزبرج وترأس جلساته شقيقه فرديناند لتقرير الصلح مع الأمراء البروتستانت، ودعي هذا المجلس بصلح أوجزبرج، ومن أهم شروطه:

- قرر صلح أوجزبرج الحرية الدينية للإمارات اللوثرية، بالإضافة إلى حرية البروتستانت في ممارسة شعائهم الدينية (عصمت راشد، 2000، ص 109).

- تقرير المبدأ الذي ظهر فيه مجلس سبير الأول سنة 1526م، بأن لكل أمير الحق في اختيار المذهب الذي يريد سريانه في إمارته (رمضان، 1997، ص 132).

- أبقى الصلح على أملاك الكنيسة التي أخذها البروتستانت قبل سنة 1552م، في أيدي من استولى عليها من رجال الدين أو غيرهم، أما الأملاك التي فقدتها بعد سنة 1552م فيجب ردها إلى الكنيسة الكاثوليكية في روما (نوار ومحمود محمد، 1999، ص 132).

- نص صلح أوجزبرج على عدم الاعتراف بأي مذهب آخر غير المذهبين: الكاثوليكي والبروتستانتي، حيث لم يعترف هذا الصلح بمذهبي كالفن وزوينغلي (حيدر، 1990، ص 80).

- نص هذا الصلح على السماح للرعايا الراغبين في الانتقال من ولاية إلى أخرى، ببيع ممتلكاتهم دون التعرض لهم بسوء (نوار ومحمود محمد، 1999، ص 133).

والواقع أن صلح أوجزبرج كان من الناحية الدينية انتصارا كبيرا للبروتستانتية، لكنه أدى من الناحية السياسية والدستورية إلى تجزئة ألمانيا إلى دويلات كثيرة منفصلة عن بعضها البعض، حيث سادت اللوثرية في الشمال، بينما سادت في الكاثوليكية في الجنوب (البطريق نوار، 1997، ص 109)، كما أعطى هذا الصلح الأمراء وحدهم حرية اختيار الدين وحرمة عامة الناس من ذلك، بل فرض عليهم إتباع مذهب حكامهم وهو أمر ظالم دون شك. إضافة إلى هذا، فإن الصلح لم يمنح المذاهب البروتستانتية الأخرى كمذهب كالفن وزوينغلي الحرية الدينية، مع أن مذهبيهما كان قد أعتنقه الكثير من الألمان وسكان الإمبراطورية (نعني، 1983، ص 64)، وكان ذلك النقص في

شروط الصلح، باعثاً على استئناف الصراع الديني وتحويل ألمانيا في القرن السابع عشر إلى ميدان للنضال الدولي، كما كان الحال في إيطاليا في القرن السادس عشر ميلادي، هذا وقد نتج عن هذا الصلح ازدياد نفوذ الأمراء على حساب الإمبراطور، إذ أصبح لهم حق تقرير مصير ولايتهم الدينية (عصمت راشد، 2000، ص 109).

خاتمة:

يمكننا القول في خاتمة هذه الدراسة أن حركة مارتن لوثر كانت من أهم حركات الإصلاح الديني التي شهدتها أوروبا، من خلال أثرها الكبير على العالم الأوروبي الحديث بعد تجاوزها للمجال الألماني وانتشارها في كامل أنحاء أوروبا ضمن ما عُرف بالمذهب البروتستانتي. والحقيقة أن حركة لوثر لم تكن لتظهر أو تنجح لولا الثورة الدينية التي تجاوزت أي حركة إصلاح تخيلها. خصوصاً ونحن نعلم أن الضربات التي وجهها لوثر للبابوية قد ترددت أصدائها في جميع بقاع أوروبا، وصدمت نفوس شعوبها بشحنات هائلة من الإثارة والجيشان، كما أدت إلى ظهور مذهب جديد ألا وهو المذهب البروتستانتي؛ لتتحول بذلك من اللّوثرية الألمانية إلى البروتستانتية الأوروبية.

* قائمة المراجع:

* باللغة العربية:

- أباضة فاروق عثمان، (2003)، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ج 01، د.م: دار المعرفة الجامعية.
- أبو علي عبد الفتاح حسن وياغي إسماعيل، (1985)، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- أشرف سيد محمد صالح، (2009)، أصول التاريخ الأوروبي الحديث، الكويت: دار ناشري للنشر الإلكتروني.
- أشرف صالح، (12 - 02 - 2010)، مارتن لوثر وبدعة صكوك الغفران، على الموقع الإلكتروني: www.diwan.al-arab.com.
- البطريق عبد الحميد ونوار عبد العزيز سليمان، (1997)، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- جفري برون، (2006)، تاريخ أوروبا الحديث، تر: علي المرزوقي، ط 01، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع.
- جلال يحيى، (د.ت)، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، ج 01، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
- جلال يحيى وطه جاد، (1974)، معالم التاريخ الأوروبي الحديث، الإسكندرية: دار المعارف، الإسكندرية.
- حيدر علي سليمان، (1990)، تاريخ الحضارة الأوروبية الحديثة، ط 01، العراق: دار واسط للدراسات والنشر والتوزيع.
- الدسوقي محمد كمال، (1962)، تاريخ ألمانيا، مصر: دار المعارف للنشر والتوزيع.
- ديورانت ول وإيريل، (د.ت)، قصة الحضارة، تر: فؤاد أندراوس، ج 06، بيروت: دار الفكر العربي.

- رمضان عبد العظيم، (1997)، تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة، ج 01، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- السوداني عبد الكريم، (26 - 12 - 2009)، أسس المذهب البروتستانتي، على الموقع: www.Alsabaah.com.
- عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، (1997)، محاضرات في تاريخ أوروبا الحديث، مالطا: منشورات E.L.G.A.
- العراقي حكيم، (05-01-2010)، الإصلاح الديني، على الموقع الإلكتروني: www.Ahewar.Org.
- عصمت راشد زينب، (2000)، تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، ج 01، القاهرة: دار الفكر العربي.
- عطا الله الجمل شوقي وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، (2000)، تاريخ أوروبا من النهضة إلى الحرب الباردة، القاهرة: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات.
- عمر عبد العزيز عمر، (1992)، دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، القاهرة: دار المعرفة الجامعية.
- منصور أنيس، (د.ت)، الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، القاهرة: جدران المعرفة للنشر.
- ميرسيا إلياذ، (1987)، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، تر: عبد الهادي عباس، ج 03، ط 01، دمشق: دار دمشق للطباعة والنشر.
- ناهض نكولا، (1998)، الموسوعة العربية العلمية، المجلد 13، قبرص: مؤسسة خليفة للطباعة والنشر.
- نعنعي عبد المجيد، (أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة (1453-1848)، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- نوار عبد العزيز سليمان وجمال الدين محمد محمود، (1999)، موسوعة التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، القاهرة: دار الفكر العربي.
- هريبرت فيشر، (1965)، أصول التاريخ الأوروبي الحديث، ترجمة زينب عصمت راشد وأحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر: دار المعارف للنشر.
- اليافي نعيم، (2000)، حركة الإصلاح الديني في عصر النهضة: سلسلة قضايا العصر وصراع الحضارات، ط 01، مج 01، د. م: مركز الإنماء الحضاري للنشر.
- * باللغة الأجنبية:**

- James mackinnon, (1929), luther the reformation, vol 3, new york.
- Kuhn (f), (1984), Luther : sa vie son œuvre, vol 03, Paris.